الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

كلية اللغات والآداب
قسم: اللغة والأدب العربي

بلاغة الخفة والثقل في ألفاظ القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين:
* عزيري هاجر
* يحياوي زوبيدة

إشراف:
* بوجمل حمزة

السنة الجامعية

2013/2012

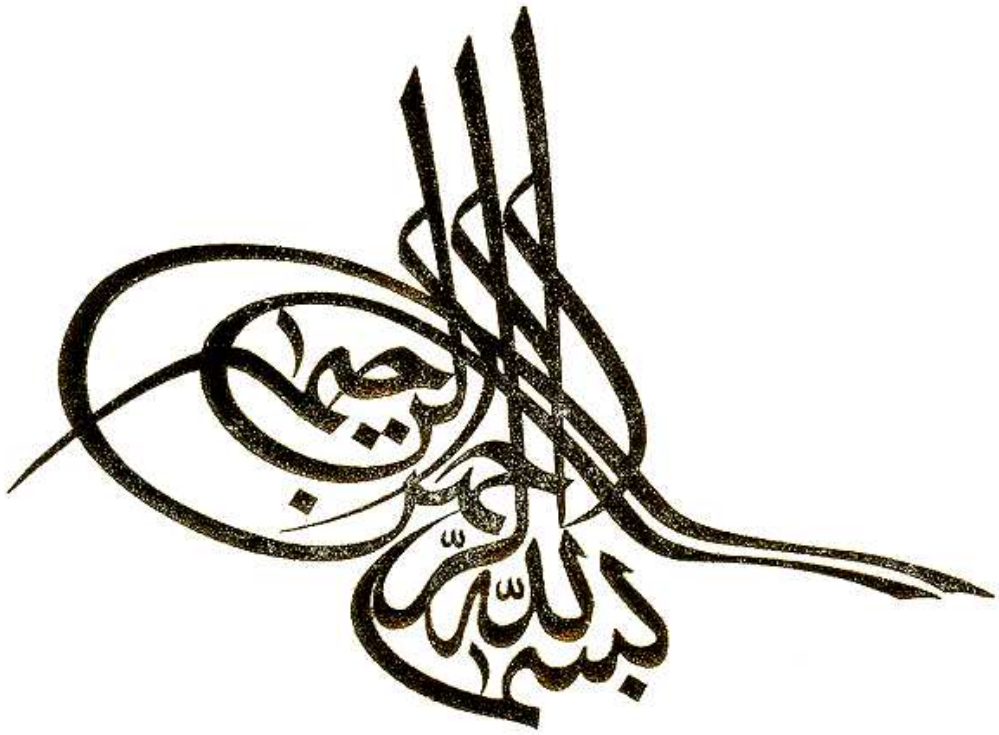
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى من أضاءت لي دربي المظلم

إلى من حبها زادي وعمادي

إلى من قاسمتني آهات قلبي وأفراح عمري

إلى من كنت أحتمي بدعائها الخالص وحنانها

إلى أمي حبيبة عمري

إ من زرع في قلبي روح التحدي والاجتهاد

وسقاني بالرعاية والاهتمام والحنان

إلى من كان يشجعني عل أخذ العلم والمثابرة فيه

إلى شعاع النور الأزلي

أبي أصدق الناس

أسأل الله أن يحفظهما لي ويديم لهما الصحة والعافية

إلى أخي العزيز يحيى وزوجته صبرينة

إلى أختي مريم وزوجها وبناتها شيماء، مروة، هدى،

إلى صارة والياقوت وآخر العنقود عبد الرحمان

إلى كل صديقاتي خاصة وردة، فتيحة ورفيقتي زبيدة التي شاركتني في إنجاز هذا البحث

إلى كل هؤلاء الأعزاء أهدي ثمرة جهدي

هاجر

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

مقدمـــة

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وإله الأولين والآخرين وصلاة الله وسلامه ورحماته وبركاته على صفوة خلقه وخاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحابته أجمعين ورحمة الله ومغرفة للتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الدالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر بلسان عربي مبين كامل في فصاحته وبلاغته حيثما تحدى الله به العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، كيف لا وهو المعجزة الخالدة على مرّ الأزمان، وتعتبر بلاغته وجه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع حبنا للقرآن الكريم الذي يعد منبع العلوم وخير دليل للاستشهاد، إضافة إلى أن أستاذنا الفاضل اقترحه علينا وكرغبة منا لاكتشاف بعض من أسرار بلاغة الخفة والثقل في ألفاظ القرآن الكريم.

فما هي عوامل نشأة البلاغة؟ ما علاقتها بالقرآن؟ وما هي دلالات التشديد والتخفيف؟ وما هي أنماط الخفة والثقل من حيث ألفاظ القرآن الكريم؟

حيث تناولنا موضوعنا بدراسة بلاغية على أساس منهج وصفي تحليلي لاستقراء وعرض المادة وتوضيحها.

قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، الفصل الأول نظري بعنوان نشأة البلاغة ودلالاتها.

أما الفصل الثاني فتطبيقي على القرآن الكريم وهو بعنوان: أنماط من الخفة والثقل في ألفاظ القرآن الكريم، ثم تأتي الخاتمة التي تتضمن النتائج التي توصلنا إليها من هذا البحث وككل الباحثين المبتدئين واجهتنا بعض الصعوبات وتمثلت فيما يلي:

– عدم فهم الموضوع من الوهلة الأولى، بالإضافة إلى قلة المراجع الخاصة بهذا الموضوع خاصة الكتب التي تتعلق بالخفة والثقل، وكذلك التحرج والخشية في التعامل مع كلام الله.

ومن المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم لعبد الحميد هنداوي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن لكاصد ياسر الزيدي ابتهال.

وفي الأخير نشكر الخالق عزوجل على توفيقه لنا في عملنا المتواضع هذا كما لا ننسى أن نتقدم خاصة بالشكر الجزيل وفائق التقدير والاحترام لأستاذنا المشرف بوجمل حمزة الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وإرشاداته رغم بعد المسافة بينه وبيننا!

فنسأل الله تعالى له الأجر والثواب.

ومسك الختام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

معنى البلاغة:

نالت البلاغة العربية عناية عند العرب فحرضوا على ذكر تعريفاتها وصفاتها وبيان فضلها حيث سعى كثير منهم إلى توضيح مفهومها، وقد اختلف هذا المفهوم تبعا لاختلاف من تصدوا لتعاريفها وتباين محصولهم الأدبي والثقافي، فمن تعاريفهم اللغوية ما جاء في مقاييس اللغة، الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء تقول: بلغت المكان إذا وصلت إليه، وقد تسمى بلوغا بحق المقاربة قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ سورة الطلاق (2)، ومن هذا الباب قولهم هو أحمق بُلْغْ وَبُلَغْ أي: أنه من حماقة يبلغ كما جاء في لسان العرب في مادة بلغ: لقطة بلغ الشيء[1] بلوغًا وبلاغًا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغًا، وبَلَغَهُ تبليغا إذ يقول ابن القيس بن الأسلة السلمي:

قالت ولم تقصد
مهلا، فقد أبلغت أسماعي.

إنما هو من ذلك: أي قد انتهيت فيه.

وقولنا تبلغ بالشيء: وصل إلى مراده، والبلاغ، ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء[2] وعلى هذا فالبلاغة هي الوصول بالشيء إلى مراده والانتهاء إليه. ويقال الدنيا بلاغ لأنها تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضا التبليغ في قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ سورة إبراهيم (52).

تعتبر البلاغة أجلّ العلوم الأدبية قدرا وأرسخها أصلا، وأسبقها فرعا، وأحلاها جنى، وأعذبها وردا، لأنها العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معادنها، وتريك محاسن في مكامنها، ولولاها لم ترى لسانا يحوك الوشي وبلفظ

---

[1] – أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، مقاييس اللغة، تح: عن السلامة محمد هارون، د ط، دار اتحاد الكتاب العرب، ج1، مادة بلغ.

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، ط1، بيروت، 1997م، دار صادر مادة بلغ.

الدرّ، وينفث السحر، ويريك بدائع الزهر وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر، لهذا كانت منزلتها تلي العلم بتوحيد الله تعالى[1].

ويرى آخرون أن البلاغة العربية تتمثل أولا وأخيرا في النصوص المكتوبة أو الملفوظة وحدها، ويرى ابن المعتز أن البلاغة: «البلاغة هي البلوغ إلى المعنى، ولما يطل سفر الكلام».

كما يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي أن البلاغة ما قرب طرفاه، وبعد منتهاه، والبلاغة الحق، إضافة إلى كونها الكلام المكتوب أو المسموع هي التي تقدر الظروف والمواقف وتعطي لكل ذي حق حقه ومادامت البلاغة مقصورة على الحديث المكتوب أو المسموع فأين تكون من هذا الحديث أتقع في ألفاظه أم في معانيه؟

لقد اختلف العلماء قديما وحديثا في موقعها فمنهم من انحاز إلى جانب اللفظ ومنهم من انحاز إلى جانب المعنى، ومنهم من رأى بينهما صلة لا يمكن فصلهما[2]. ويقول ابن رشيق القيرواني قال: قيل لبعضهم ما البلاغة؟ قال: إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع وبذلك سميت بلاغة[3]. فالبلاغة في الكلام: مطابقة لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها.

والكلام البليغ هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين وحال الخطاب "ويسمى بالمقام"، هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى. وحال الخطاب هو في الحقيقة لبّ البلاغة وجوهرها إنه وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب، إنه كمخاطبة الناس على قدر عقولهم و أفهامهم إنه حديث الأذكياء بما يليق بالأذكياء، وهو مخاطبة الأغبياء بما يليق بالأغبياء.

---

[1] – ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر بيروت، لبنان، ط2، ص6.

[2] – ينظر: محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، دار الفكر عمان، الأردن، ط1، 2007، 1428ه، ص9–10.

[3] – بثينة أيوب، قضايا بلاغية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2005، ص8.

وتفيض كتب النقد بأخبار الشعراء الذين أخطأهم التوفيق في هذا المجال، حيث لم يراعوا مقتضى الحال واستحقوا نقدا، ومن هذه الأخبار أن أبا النجم دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده:

صفراء قد كادت ولما تفعل وكأنها من الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول العين، فأمر بحبسه.

فالأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى يسمى "حالا"، وإلقاء الكلام على هذه الصورة دون أخرى يسمى "حالا"، وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى "مقتضى"[1].

فالبلاغة هي: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2]، أما بلاغة المتكلم هي ملكة راسخة في نفس صاحبها، بها يقتدر من تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحة في المعنى عمن أحاط بأساليب العرب وخبرها، وعرف سنن تخاطبهم في مناظراتهم ومفاخراتهم ومديحهم وهجائهم، وشكرهم واعتذارهم وعرف أن لكل مقام مقالا فهو بليغ[3].

فالمقصود من البلاغة إذن هو وصول الإنسان لعباراته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل بالمعاني، وعن الإطالة المملة للخواطر[4]. كما نجد أن البلاغة هي فن القول واشتماله على درجة من التحسين والتجويد والتغيير الصادق عن الإحساس الصادق، وهي التأثير في فؤاد السامع أو القارئ وإثارة انفعاله وإحساسه بالمتعة وليس في إفهام المعنى وحده فقد يفهمك المعنى من لا يتصف بأنه بليغ، ولكن البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" وتعرف

---

[1] – ينظر: محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، ص19–20.

[2] – حمدي الشيخ، في تيسير البلاغة – البديع ، البيان، المعاني، د.ط، كلية الأدب جامعة بنها، ص7.

[3] – ينظر: محمد ربيع، علوم البلاغة، ص20.

[4] – يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، مصر، 1914، ص7.

بواسطتها" دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس وقد سأله فيم الجمال؟ فقال: "في اللسان"[2].

المعنى اللغوي للخفة والثقل ومعيارهما:

أ- **الخفة:** الخَفّة والخِفّة: ضد الثقل والرُجُوح، يكون في الجسم والعقل والعمل خَفّ يَخِفُ خفّا وخِفّه: صار خفيفا، فهو خفيف، وخُفافُ، بالضم وقيل: الخفيف في الجسم، والخفاف في التّوقّد والذكاء، وجمعهما خِفافُ وقوله عز وجل: "انفروا خفافا وثقالا" قال الزجاج أي موسرين أو معسرين، وقيل خَفَّت عليكم الحركة أو ثَقُلَتْ وقيل: رْكبانًا ومشاة، وقيل شبانا وشيوخا، والخِفُّ كل شيء خفّ مَحْمَلُه، والخِفُّ بالكسر: الخفيف، وشيء خِفٌّ: خفيف.

قال امرؤ القيس:

يزلُّ الغُلامُ الخِفُّ عن صهواتِه ويُلْوِى بأَثْوابِ العَنيفِ المثَقَّلِ

ويقال: خرج فلان في خِفٍّ من أصحابه أي في جماعة قليلة، وخِفُّ المتاع: خفيفُه، وخَفَّ المطر: نقص، قال الجعدي:

فتمطى زَمْخَريٌّ وارمُ مِنْ رَبيع، كلمّا خَفَّ هَطَلْ[3].

ب- الثقل: الثقل، نقيض الخفة والثقل: مصدر الثقيل، تقول: ثَقُل الشيء ثقل وثقالة، فهو ثقيل، والجمع ثقال، والثّقل: رجحان الثقيل والثقل: الحِمْل الثقيل، والجمع أثقال، وقوله تعالى: "وأخرجت الأرض أثقالها"، أثقالها: كنوزها وموتاها، قال الفرّاء: لفظت ما فيها من ذهب أو فضة أو ميت، وقيل: معناها أخرجت موتاها، قالوا: أثقالها.قال الفرّاء: لفظت ما فيها من ذهب أو فضة أو ميت، وقيل: معناها أخرجت

---

[1] – عبد القادر حسين، فن البلاغة، د.ط، القاهرة، د.ت، دار الغربي، ص39-40.

[2] – محمد ربيع –علوم البلاغة العربية، ص19.

[3] – أبي الفضل جمال الدين محمد لن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، (لبنان)، الطبعة الرابعة، 2005، (خفف)، أنظر ص112-115.

موتاها، قالوا: أثقالُها أجساد بني آدم، قيل: معناه ما فيها من كنوز الذهب والفضة، وقال: خروج الموتى بعد ذلك من أشراط الساعة أن تقيء الأرض أفلاذ كبدها وهي الكنوز[1].

وقول الخنساء

أبْعَدَ ابن عمرو من آل الشريـــ د حَلَّتْ به الأرضُ أثقالها؟

وكانت العرب تقول: الفارس الجواد ثقل على الأرض، فإذا قتل أو مات سقط به عنها ثِقْل.

والثقل: الذَّنْب. والجمع كالجمع وفي التنزيل:«وليَحْمِلُنَّ أثقالهم وأثْقَالاً مع أثقالهم»، وهو مثل ذلك يعني أوزارهم من أضلوا وهي الآثام.

وأثقلت المرأة، فهي مُثْقِل: ثَقُل حملها في بطنها[2].

ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظ "الأخذع" عن بيت الحماسة:

تَلَفَّتُ نَحْوَ الحَيَّ حتى وَجَدْتَنِي وَجِعْتٌ الإصْغَاء ليتًا وأَخْدَعًا.

وبيت البحتري:

وإنِّي وَإنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الغَنِي وأَعْتَقْتَ من رِقّ المَطَامِع أَخْدَعِي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها عن بيت أبي تمام:

يَا دَهْرُ قوّم من أَخْدَعَيْكَ فقد أضْجَجْتَ هذا الأنَام من خُرُقِكْ

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ومن الإناس والبهجة[3].

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، أنظر ص29.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، أنظر ص29.

[3] – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: أبو فهد محمود، محمد شاعر، دار المدني بجدة (السعودية)، مطبعة المدني، ط3، 1413هـ، 1992، ص46.

لقد كان العرب ينظرون إلى اللفظ الجميل من عدة جهات من جهة الخفة والثقل، ومن جهة إيحاء الصوت بالمعنى ومن جهة دقة اختياره لأداء المعنى المطلوب.

ج-معيار الخفة والثقل: وجدت أن هذا المعيار يدور كثيرا عند حديثهم عن اللفظ الفصيح وخصائصه بل إنه يكاد يجمع كل خصائص اللفظ الفصيح كما عدها الخفاجي مثل: "أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج وأن نجد لتأليف اللفظة في السمع حسناء مزية على غيرها، وأن تكون غير متوعرة وحسية، وأن تكون جارية على العرف العربي الفصيح، ومعيار الخفة والثقل يقوم على طريقة ترطيب حروف الكلمة الواحدة وعلى عدد حروفها، فالعربي كان يحب الخفة في الكلام ويبعد ما أمكن عن كل ما ثقل عليه، يقول الخفاجي عن واضع اللغة: "إن الواضع لها إن كانت مواضعة تجنب في الأكثر كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به، كالجمع بين الحروف المتقاربة المخارج وما أشبه ذلك، واعتمد مثل هذا في الحركات أيضا، قلما يأتي بالسهل الممكن، دون الوعر المتعب، ومتى تأملت الألفاظ المهملة لم تجد العلة في إهمالها إلا هذا المعنى[1].

وخفة الكلمة تأتي من طريقة ترتيب الحروف، والعجيب أن هذه الطريقة تقوم على "التوازن" بين أصوات الحروف، فكلما تباعدت مخارج الحروف بقدر معين لا إفراط فيه، خفت الكلمة في النطق وحسنت في السماع، وكلما تقاربت مخارج حروف الكلمة الواحدة، ثقلت الكلمة في النطق ومجتها الأسماع، وقد جعلوا هذا معيارا لفصاحة الكلمة وجمالها وحسن موقعها في السمع[2].

ويؤكد علي بن خلف "أن العرب كانت تسير في لغتها على الخفة، وما استثقلته فهي تهمله كإهمالهم كثيرا من المولد من الألفاظ لأنه لم يناسب الحس العربي، يؤكد هذا بقوله: "فأما المساواة في الخفة والثقل على اللسان فهو في سائر

---

[1] – أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، تحقيق داوود غطاشة، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2007، ص 51-52.

[2] – المرجع نفسه، ص64.

الكلام، وهو على مراتب والعلة فيه أن من الحروف ما يتنافر في التأليف، فكلما جمعت الحروف المتنافرة كان أصعب وأعسر، ومن ذلك ما ولدوه من تأليف الحروف ولا يرتضيه العرب لثقله على اللسان فرفض وألغي[1].

ومن الخفة والثقل أيضا، كثرة استخدامهم "الثلاثي" من الكلام، يقول ابن جني: "فذوات الأربعة مستثقلة غير متمكنة تمكن الثلاثي، لأنه إذا كان "الثلاثي" أخف وأمكن من الثنائي –على قلة حروفه فلا محالة أنه أخف وأمكن من الرباعي لكثرة حروفه، ثم لا شك فيما بعد من ثقل الخماسي وقوة الكلفة به"[2].

ولو تدبرنا ألفاظا القرآن في نظمها، لرأينا حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضا، ولن تجدها مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها عن النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذب ولا تساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحروف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضوع أولى الحركات بالخفة والروعة من ذلك لفظة جمع نذير، فإن الضمة ثقيلة فيها لتوليها على النون والذال معا، فضلا عن جشأة هذا لحرف ونبوه في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام، فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه، ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ سورة القمر: الآية 36. فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم في تأمله[3]. وتذوق مواقع الحروف

---

[1] – علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 1424ه–2003م.

[2] – أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1427ه–2006م.

[3] –

وأجر حركاتها في حس السمع وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقد)، وفي الطاء (بطشتنا) وهذه الفتحات المتولية فيما وراء الطاء واو (تماروا)، مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جزت على اللسان ليكون ثقل الضمة عليه مستخلفا بعد ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة، ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه، انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلط ولا تنبو فيه، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر)[1].

القرآن الكريم:

أ- لغة:

قبل الخوض في الحديث عن معنى القرآن الكريم اصطلاحا لابُدَّ من إيراد المعنى اللغوي فإذا بحث عن مادة "قرأ" تبين أنها: القرآن التنزيل، قرأه كنَصَره ومَنَعَه فهو قارئ.

قرأت القرآن عن ظهر قلب أو نظرت فيه، هكذا يقال، ولا يقال قرأت إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث.

قرأت القرآن: لفظت به مجموعا، وهو مصدر كالعقران، والكفران وقد يطلق عن الصلاة لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه[2]، وقد سمي القرآن بذلك لجمعه الأحكام والقصص وغير ذلك.

وقال الشافعي:«القرآن اسم وليس مهموزا، ولم يؤخذ من قرأت ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآنا ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل» فالإمام الشافعي يقول قرأت القرآن فيهمز قرأت ولا يهمز القرآن. وهناك من يقول إن اللفظ هو

---

[1] – مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425ه-2005م، ص220.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص128، 129.

"القرآن" وقرأ مادته بمعنى "جمع" لقوله تعالى﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ سورة القيامة (17).

فغاير بينهما لكنه بمعنى قرأ من ناحية الإظهار والإبانة فقارئ القرآن يظهره ويخرجه وهناك فريق آخر من العلماء ذهب إلى أن كلمة "القرآن" ممهوزة فهي مصدر لقرآن وقد سمى ما يتضمنه مقروءا تسمية للمفعول بالمصدر[1].

ب- اصطلاحا:

عند التأمل في التعريفات التي اصطلح عليها واضعوها، يتبين أنها تنقسم إلى قسمين منها ما يطلق على الكلام النفسي، ومنها ما يطلق على الكلام اللفظي، ويتمثل المتكلمون دون غيرهم بالفريق الأول، وأما الفريق الثاني فأصحابه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية وقد راعى الفريقان أمرين ضمن التعريف وهما:

- أن المعرف كلام الله تعالى المتميز من كل ما عداه من الكلام.

- أنه كلام قديم أزلي، فيجب تنزيهه عن الأعراض والحوادث وقد ورد للمتكلمين تعريفات:

الأول: الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

وتعلقها بالكلمات الحكمية سبب التجرد عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية، فالألفاظ ليست حقيقية، لأنها لو كانت كذلك لكانت مخلوقة.

وأما الثاني: "تلك الكلمات الحكمية الأزلية المترتبة في غير تعاقب المجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية".

[1] - ينظر: عبد الله عبد الناصر جبري، لهجات العرب في القرآن الكريم، دراسة استقرائية تحليلية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007، 1428م، ط1، ص21، 22.

أما الأصوليون والفقهاء وعلماء اللغة المتكلمين يعرفونه بأنه: "اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس" ولابد من الإشارة إلى أن إطلاق لفظة القرآن الكريم يقصد به من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس، ويطلق أيضا بعض من السور فيقال لمن يقرأ آية إنه قرأ قرآنا[1]، والله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ سورة القيامة(16).

فالقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى ونَزَل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو المكتوب في المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بصورة الناس[2]، قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ سورة الشعراء (192-196).

[1] – ينظر عبد الله عبد الناصر جبري، لهجات العرب في القرآن الكريم، ص23، 24.

[2] – محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، طبعة الأولى، ص18.

الفصل الأول:

نشأة البلاغة ودلالاتها

المبحث الأول: نشأة البلاغة وعلاقتها بالقرآن

1- نشأة البلاغة: البلاغة العربية في نشأتها كغيرها من العلوم العربية ليست لها حدود تعرف بها ولا قضايا تختص بها دون غيرها، ولا مصطلحات تقتصر عليها، إنما كانت بابا من أبواب فن القول العربي في الجاهلية وفي ضوء ذلك لم يكن لها اتجاه عام بل ارتبطت بجهود أصحابها وكانت ملاحظاتهم جريئة غير معللة لكنها كانت مؤدية الغرض ومؤثرة في المتلقي[1].

لقد ساهمت عوامل متعددة في نشأة البلاغة وتطورها ومنها أن العرب قد نشأوا على تذوق الأسلوب ونقده والفطنة بجيده و رديئه، إذ نشأ عن ذلك ظهور آراء نقدية كانت الأساس الأول للنقد الأدبي عند العرب، فهذا النقد هو أساس علم البلاغة، كما عرفت الأحكام الجمالية في إبداعات الشعراء قبل الإسلام إذ تذكر الأخبار أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة أدم في سوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فيصدر عليها أحكامه التي تصور الدرجة التي بلغها تجويد الشاعر[2].

مع النصف الثاني من القرن الهجري الأول تقريبا نلاحظ صدور الأحكام الجمالية على روائع الشعر العربي فقد وجدت مجالس أدبية تضم عدداً من الأدباء وأصحاب البلاغة، إذ إن العرب مفطورين على البلاغة، قد رفع القرآن منزلة البلاغة فوق منزلتها، ومن ثم كان العرب في بحثهم عن خصائص البلاغة العربية يبحثون عن أعز شيء لديهم، ولقد التفت العلماء منذ أواخر القرن الهجري الأول تقريبا إلى تبين مزية القرآن الكريم والبحث عن مصدر الخلابة والروعة في آياته حتى طور ذلك فيما بعد إلى البحث في أسرار إعجازه وإقامة الأدلة العلمية على هذا الإعجاز وتوجه الأذهان إلى معرفة الخصائص الأسلوبية لأنواع الكلام والمزايا التي تنفرد بها الصور الكلامية المختلفة.

---

[1]- عاطف فضل، مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي، الأردن، ط1، 2006، ص 13.

[2]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني علم البيان، علم البديع، دار الميسرة للنشر والطباعة، عمان، ط1، 2007، ص 13.

يبدو أن فساد الأذواق وانحراف الملكات بعد اتساع الفتوحات الإسلامية وامتزاج العرب بالشعوب الأخرى، وظهور أثر هذا الامتزاج في الألسنة والطباع، كان من بواعث تدوين أصول البلاغة العربية لتكون ميزانا سليما توزن به بلاغة الكلام و لتعصم هذه الأصول الأدباء من الخطأ في الأسلوب والبيان. ولقد كان للمعتزلة دور كبير في نشأة البلاغة العربية، لاعتنائهم بمسائل البيان والبلاغة لأنها تتصل بما كانوا ينهضون به، كما اهتموا بما عند الأمم الأخرى من آراء في البلاغة ومسائلها المتنوعة، وسبب اهتمامهم بهذا يعود إلى عاملين:

- إن البلاغة عنصر هام في الإقناع، والإقناع غاية الجدل في الكلام، ولهذا كان بعض علماء المعتزلة معلمي بلاغة.
- إيمان المعتزلة بأن الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها[1].

وهذه العوامل ساعدتنا على تتبع البذور الأولى للملاحظات البلاغية في الجاهلية وصدر الإسلام وسائر العصور الأخرى.

ففي العصر الجاهلي والإسلامي قد بلغ العرب مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع، ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ سورة الرحمن"الآية04" ، وقوله أيضا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ " البقرة الآية204".

ومن أكبر الدلائل على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وحجته القاطعة أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة وهي دعوة تدل على وضوح ما أتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام، كما تدل بصرهم بتميز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير، ويروى أن الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم الألد، استمع إليه وهو يتلو بعض آي القرآن فقال:

[1] – يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني علم البيان، المرجع السابق، ص 13-14.

"والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ به لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدّق"، وعن كلام الوليد ما يدل على أنهم كانوا يعربون عن إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانها ومما لاشك فيه أن أسواقهم الكبيرة هي التي عملت على نشأة هذا الذوق وخاصة سوق عكاظ بجوار مكة، إذ كان الشعراء والخطباء يتبارون فيها[1].إذ يروى أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة من أدم في سوق عكاظ فيقدم إليه الشعراء فينشدونه ويسمعون رأيه، يقال إن الأعشى أنشده ذات مرة وتلاه حسان بن ثابت ثم الخنساء فأعجب بشعرها وقال لها: لولا أن أبا بصير أنشدني لقلت إنك أشعر الجن والإنس وبهذا يكون قد قدم عليها الأعشى وقدمها على حسان[2]. ويظهر أنه كان لقريش في ذلك الحكم الذي لا يرد، ففي الأغاني: "أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا وما ردوه منها كان مردودا[3].

وبهذا أخذت تنمو هذه العناية بالبلاغة بعد ظهور الإسلام بفضل ما نهج القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم من طرق الفصاحة والبلاغة، أما القرآن فكانت آياته تتلى آناء الليل وأطراف النهار، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فكان حديثه يذاع على كل لسان وخطبه تملأ الصدور والقلوب، وفيه يقول الجاحظ: لم ينطق إلا عن ميزات حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة[4]

وفي عصر بني أمية نجد أن الملاحظات البيانية كثرت، وعملت فيها بواعث كثيرة فقد تحضر العرب واستقروا في المدن والأمصار فكان هناك الخوارج والشيعة والجبرية والقدرية ونما العقل العربي نموا واسعا فكان طبيعيا أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان لا في مجال الخطابة

---

[1] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط8، د.ت، ص 9.

[2] – عاطف فضل، مبادئ البلاغة العربية ، ص 14.

[3] –أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مج6، ط2.1423.2002ص 21.

[4] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ج1، ط7،2002 ص 18.

والخطباء فحسب بل في مجال الشعر والشعراء... فقد قامت في هذا العصر سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة مقام سوق عكاظ في الجاهلية.

ولا نكاد نصل إلى العصر العباسي حتى تتسع الملاحظات البلاغية وقد أعدت لذلك أسباب مختلفة منها ما يعود إلى تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية، ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين من المعلمين تعنى إحداهما باللغة والشعر والأخرى بالخطابة والمناظرة ودقة التعبير وروعته[1].

2- علاقة البلاغة بالقرآن الكريم: إن ارتباط علم البلاغة بقضية إعجاز القرآن أمر واضح وجلي في كثير من كتب البلاغة ومصادرها الأساسية، يكفي الاطلاع على عناوين بعضها لإدراك هذه العلاقة القوية، فدلائل الإعجاز للجرجاني، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي، والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزملكاني وغيرها من كتب البلاغة الأساسية التي كانت غاية بحثها الوصول إلى فهم الإعجاز في القرآن، وقضية هذا الإعجاز، ووجوهه التي كان العرب في زمن يدركونها بفطرتهم اللغوية أصبحت فيما بعد في العصور المتأخرة قضية فكرية تحتاج إلى التعليل العلمي بعد فقدان العرب لتلك الفطرة[2]. وغدت حاجة المسلمين إلى إدراك هذا الإعجاز بالوسائل العلمية المتاحة في عصرها، وفي بيئة المتكلمين كثرت أساليب الجدال بشأن الإعجاز ولاسيما بين المعتزلة وغيرهم من أصحاب المذاهب الكلامية، وأصبحت البلاغة وسيلة من الوسائل التي يعلل بها.

تعود نشأتها وتطورها كما سبق إلى الحدث القرآني مثلها مثل سائر العلوم اللغوية والفقهية في الحضارة العربية الإسلامية، فبنزول القرآن وانتشار الإسلام ظهرت الحاجة إلى وضع القوانين التي تحكم عمله من حيث هو نص لغوي وتضمن فهمه السليم من حيث هو رسالة سماوية تصدر بالأحكام وما اتصل بها من عقائد وعبادات فكان أن نشأت حركة الجمع التي شملت جميع المستويات اللغوية.

---

[1] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، المرجع السابق، ص 13-28.

[2] – بن عيسى باطاهر، تيسير البلاغة العربية في كتب التراث، د ب، د ط، د ت، ص 8.

المبحث الثاني: المعاني اللغوية والاصطلاحية للأصل والفرع

الأصل لغةً: أسفل كل شيء ووسطه وما يبنى عليه، وجمعه أصول لا يكسر على غير ذلك، وهو اليَأْصُول- يقال: أَصل مُؤَصل، واستعمل ابن جني الأصلية موضع التأصُّل فقال: الألف وإن كانت في أكثر أحوالها بدلا أو زائدة فإنها إذا كانت بدلا من أصل جرت في الأصلية مجراه، وهذا لم تنطق به العرب إنما هو شيء استعمله الأوائل في بعض كلامها وأصل الشيء: صار ذا أصل، قال أمية الهذلي:

ومَا الشُغل إلا أنّنِي مُتَهَيبُ بِعرضك مَا لَمْ تَجْعَل الشَيءَ يَأصُلُ[1]

(أصل) الهمزة والصاد واللام، ثلاثة أصول متباعد بعضها من بعض، أحدهما: أساس الشيء، والثاني: الحية والثالث: ما كان من النهار بعد العشيّ.

فأما الأول فالأصل أصل الشيء، قال الكسائي بقولهم: " لا أَصْلَ له ولا فصل له"، إن الأصل الحسب، والفصل اللسان. ويقال مَجْدٌ أَصِيلُ وأما الأصلة فالحية العظيمة. وفي الحديث في ذكر الدجَّال: "كأن رأسه أَصلَةٌ". وأما الزمان فالأصيل بعد العشي وجمعه أصُلٌ و أصال. ويقال أصيلٌ وأصيلةٌ، والجمع أصائل. قال أبو ذؤيب الهذلي:

لَعمرِي لأَنْتَ البيت أُكْرِمُ أَهْلَهُ وَأقعُدُ في أَفْيائهِ بالأَصَائِلِ[2]

أما الفرع: فالفاء والراء والعين أصل صحيح يدل على علو وارتفاع وسمو و سبوع. من ذلك الفرعُ وهو أعلى الشيء. والفرعُ: مصدر فرعْتُ الشيء فرعاً، إذا علَوْتَهُ ويقال: أفرع بنو فلان، إذا انسجعوا في أول النّاس.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، (مادة أصل)، ص 114-115.

[2] – أبو الحسن أحمد بن فارس ابن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد كتاب العرب، 2002، ج1، ص 109-110.

والفَرَع المال الضائع المعد. والأفرع: الرجل التام الشعر، وقد فرع قال ابن دريد: امرأة فرعاء: كثيرة الشعر، ولا يقولون للرجل إذا كان عظيم الجمّة: أفرع، إنما يقولون رجلٌ أفرعُ ضد الأصلع. ورجلٌ مُفْرَعُ الكتف، أي ناشزها، ويقال عريضُها[1].

إن علو الفرع و سفول الأصل لا يعني إلا جعل الشيء تام الأجزاء والتفاصيل. فالفرع بوصفه الجزء العلوي من الشيء المتمم له لا يستقل بنفسه عن الأصل غالبا. ويرتبط الأصل مع الفرع بعلاقة الاحتياج أو الافتقار، والفرع مفتقر إلى الأصل، افتقار غصن الشجرة إلى جذرها، كما نلمح في الأصل دلالة على الثبوت والرسوخ في حين يتجدد الفرع ويتعدد ويتغير[2].

أما الأصل والفرع في الاصطلاح فلهما استعمالات كثيرة ومتنوعة تنوع العلوم وتنوع المستويات والمجالات من كل علم. فنجد الأصل مثلا في أصول الفقه هو الدليل والراجح من الأحكام وغير ذلك، ونجده في اللغة والنحو يدل على المطرد و المقيس عليه و الوضع في حين يدل الفرع على الخروج عن ذلك الوضع في الاستعمال من نقل ومجاز وحمل وغيره. وما يهمنا في هذا البحث هو الأصول النطقية للالفاظ (الأوضاع) والخروج عن تلك الأوضاع إلى هيئات نطقية جديدة، وسواء كان الوضع مستعملا فعلا ثم ظهرت له استعمالات أخرى جديدة، أو فرضته القواعد الصرفية والاشتقاقية فقط. والأصول والفروع التي نريد دراستها هي تلك الألفاظ التي حدثت لها تغيرات تحكمها قوانين صوتية، يحوك خيوطها النزوع نحو الأسهل والأخف، والحد الأدنى من الجهد المبذول. و وجود هذه الصيغ والألفاظ المستحدثة والمتفرعة عن الأصول لا يقضي بإقصاء تلك الأصول من الاستعمال الفعلي للغة تماماً، بل قد نجدها مستعملة في النصوص الفنية استعمالا بلاغياً يعكس

[1] – أبو الحسن أحمد بن فارس ابن زكريا، مقاييس اللغة، ج4، ص 491–492.

[2] – د/ حسن خميس الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 75.

حالة المخاطب ودرجة الخطاب ومقتضيات المخاطَب، وهذا الاستعمال هو جوهر بحثنا وغايته التي نبغي تحقيقها.

إن بعض الأصول اللفظية ـــــ والتي توصف غالبا بالثقل ـــــ تمثل اختيارات لهجية لبعض القبائل العربية تناسب طبيعة أرضها، وحاجاتها الاجتماعية والنفسية [1]. فالتشديد تكرار الصوت وإدغامه في آخر من جنسه، وقد ورد لدى العلماء الثلاثة ابوعبيدة بن المثنى التميمي(ت209ه).الاخفش الاوسط(ت211ه).ابو زكريا الفراء(ت207ه) مصطلحا التشديد والتثقيل في مقابل التخفيف إذا كان لمصطلحي التثقيل والتخفيف لديهم دلالتان، أولهما التشديد والتخفيف، وثانيهما التحريك والتسكين.

إن التشديد من الظواهر الشائعة في كلام العرب، إذ تميل القبائل البدوية إلى الشدة في الكلام وذلك لما تمتاز به من خشونة وغلظة في حين تميل القبائل الحضرية إلى الليونة والتأني في لهجتها بما يتلاءم وبيئتها وطبيعتها المتحضرة.

ونسب الفراء التشديد إلى أهل نجد تارة وإلى أهل اليمن تارة أخرى، في حين نسب التخفيف إلى أهل الحجاز وكان يسميهم أيضا أهل مكة، وتعزى ظاهرة التشديد إلى قبائل نجد، تميم وقيس بخاصة البدوية الضاربة في البداوة إلى الشدة في الكلام متمثلة بالجهر والتفخيم والتشديد، في حين اتسم أهل الحجاز ـــــ و خاصة قريش ـــــ المتحضرون المتنعمون بالميل إلى الترقيق والتخفيف والهمس في الأصوات[2].

قال ابن جني في فصل من كتابه الخصائص: "وعلى هذه الطريق ينبغي أن يكون العمل فيما يرد عليك من السؤال عما هذه حاله، ولكن لا ينبغي أن تخلد إليها إلا بعد السبر والتأمل والإنعام والتصفح، فإن وجدت عذرا مقطوعا به صرت إليه

---

[1] – المرجع نفسه، ص 98.

[2] – ابتهال كاصد ياسر الزيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان,2005، ص 154.

واعتمدته، وإن تعذر ذلك جنحت إلى طريق الاستخفاف والاستثقال فإنك لا تعدم هناك مذهبا تسلكه ومأمّا تتورده"[1].

فالثقل والخفة أمران معنويان في اللغة لا يقدرهما إلا الذوق وهو ليس من الصفات التي يجمع عليها الناس، ثم إن اللذين دونوا اللغة لم يجمعوها إلا بعدما انطبعت الألسنة على لغة القرآن وجرت في نهجه، وبعد تنقل هذه اللغة عن أدوار التهذيب حتى بلغت نهايتها من الكمال، فمن هاهنا تألف ذوق عام في تقدير لهجات القبائل المختلفة والتمييز بينهما خفة وثقلا[2].

ومراتب الثقل متفاوتة عند العرب، فقد يقل الشيء من الصحيح في كلامهم وإن كان له بعض نظائر من المعتل مثلا، كراهية أن يكثر في كلامهم ما يستثقلون، وقد يطرحونه لهذا السبب، وقد يقل عندهم ما هو أخف مما يستعملونه لتوهمهم فيه سببا من أسباب الثقل، وقد يطرحونه وغيره أثقل منه في كلامهم لهذا التوهم عينه، وقد يدعون البناء من الشيء وهم يتكلمون بمثله في لفظ آخر، وذلك كله راجع إلى قياس القريحة المستقلة[3].

فنجد أولئك الذين دأبوا على تحقيق الهمزة في **نبئ وبريئة** فلا شك في أنهم كانوا من أطراف القبائل الحجازية، ولا شك في أنهم كانوا يتفاصحون طموحا منهم إلى مستوى اللغة النموذجية. وفي مجال الجدي من القول، فليس غريبا أن يكون الهمز تميميا بدويا، والتخلص منه حجازيا حضريا، وأن يكون التزام تميم بهذه الظاهرة امتيازا بيانيا وخاصة امتاز بها لسانها.

---

[1] – أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، مج 2، ط1، 2001، ص 262.

[2] – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص 99.

[3] – المرجع نفسه، ص 103.

ونظرا لأن الهمزة من أصعب الحروف مخرجا وأثقلها نطقا لجأت العرب إلى تخفيفها بأنواع عدة ليسهل النطق بها[1]، لذا مال أهل الحضر وهم الحجازيون إلى تخفيفها كنوع من الاستحسان يلائم طبيعة حياتهم، نظرا لأن تسهيل الهمزة لا يحتاج إلى مجهود عضلي كبير، أما تحقيق الهمزة فيناسب البيئة البدوية التي طبعت البدوي بطباع الشدة والصعوبة[2].

فمن العرب من يبدل الهمزة المفتوحة إذا كانت منفصلة –أي بين كلمتين– إلى لفظ ما قبلها ويدغمها فيه ويسمونه التخفيف البدلي فيقولون في 'أو أنت: أُونَّت، وفي "أبو أيوب": أبوّيّوب، فإذا كانت الهمزة المنفصلة مكسورة أو مضمومة فأهل التخفيف لا يدغمونها فيما قبلها بل يقولون في نحو "أحلبني إبلك: "أحلبني بلك" وفي نحو هذا أبو أمّك: أبو مّك[3].

وفي ضمير الغائب هُوَ وهوَّ: لهجة بني أسد وتميم وقيس فيه: "هُوْ" بضم الهاء وتسكين الواو، وفي لغة غيّ ورد الضمير مفتوح الهاء مشدد الواو، فقالوا: "هَوَّ"[4].

وفي اسم الموصول اللذان، وتكون في لغة ربيعة وبلحارث "اللذا" أما تميم وقيس يشددون النون في تثنية الذي والتي فتقول: "اللذانّ"، و"اللتانّ" بدلا عن الياء المحذوفة[5].

---

[1] – عبد الحليم محمد عبد الحليم، اللهجات في اللسان العربي، دار الطباعة المحمدية درب الأتراك بالأزهر، ط2، 1421ه–2000م، ص 57–88.

[2] – المرجع نفسه، ص 60.

[3] – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، المرجع السابق، ص 114–115.

[4] – سهام مادن، اللهجات العربية القديمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432–2011، ص 87.

[5] – المرجع نفسه، ص 92.

المبحث الثالث: الدلالة بين التشديد والتخفيف:

للتشديد دلالة خاصة به تختلف عن التخفيف، قد تكون الدلالة عامة تصلح لأكثر من مثال، وقد تكون خاصة بمثال معين.

1- الدلالات العامة: وتتضمن ما يأتي:

أ- التشديد أكثر مبالغة من التخفيف، قال بذلك أبو عبيدة حين فرق بين "ذانّك"، و"ذانِك"، ووصف المشددة بأنها مبالغة من المخففة وكذلك حين فرق بين "كبّار" و"كُبارْ" وعد المثقل أشد مبالغة من المخفف في حين ساوى الفراء بين الصيغتين فُعّال وفعالٍ ومثل لها بقول العرب هذا رجل "كريم" و"كرّم" و"كرامُ" وعنده المعنى كله واحد.

وروى الأخفش هذه الدلالة في تشديد سعّرت في قوله تعالى: "وإذا الجحيم سعّرت" فقال وثقل بعضهم لأن حرّها شدد عليهم[1].

ب- قال الفراء بلزوم التخفيف في جمع الفعل غير المتفرق في الواحد فنراه يقول: فإن كان الفعل يتردد في الواحد ويكثر جاز فيه التشديد والتخفيف مثل قولك: مررت برجل مشجّج وبثوب ممزّق ولا نقول: مذبّح، لأن المذبح لا يتردد كتردد التخرق.

ج- أجاز الفراء التشديد والتخفيف في الفعل المضارع الذي على صيغة "تتفاعل" على نحو: "تتساقط" و"تسّاقط" ولم يجز في المبدوء بالياء"يتفاعل" إلا التشديد نحو "يسّاقط" فلا يجوز القول "يساقّط"[2].

2- الدلالات الخاصة: وجاءت في الصيغ الآتية:

أ- فرق أبو عبيدة بين "مَيْتٍ" المخففة ومَيّتِ المشددة، وجعل الصيغة المخففة خاصة بالموت الحاصل، والصيغة المشددة خاصة بالموت الذي لم يحصل بعد، وروى عن

---

[1] - ابتهال كاصد ياسر الزبيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، ص 158.

[2] - المرجع نفسه، ص 159.

بعض العرب أنهم يجعلونه واحدا إذا هما بمنزلة هيّن ليّن ثم يخففون فيقولون: هين، لين، وهو الرأي الذي قال به فيما بعد الأخفش، والفراء، إذ جعلا الصيغتين بمعنى واحد وهما كذلك عند سيبويه.

ب- فرق الفراء بين صيغتين "يَستَبْشرُك" و"يُبَشّرُكَ" فقال: وكأن المشدد على بشارات البشراء وكأن التخفيف من وجهة الإفراح والسرور، ورجع ذلك في موروث العرب، فقال: وهذا شيء كان المشيخة يقولونه، ونسب التشديد إلى عُكْلٍ ونسبها آخرون إلى تميم كما نسبوا التخفيف إلى كنانة[1].

ج- وفرق الفراء أيضا بين "أتبع" و"اتّبَعَ" فقال: وأتبع أحسن من اتّبع فقال: وأتبع أحسن من اتّبع لأن "أتبعت الرجل" إذا كان يسير وأنت تسير وراءه، وإذا قلت أتبعته بقطع الألف فكأنك قفوته[2].

[1] - المرجع نفسه، ص 160.

[2] - ابتهال كاصد ياسر الزبيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، ص 161.

الفصل الثاني:

أنماط الخفة والثقل في الفاظ القرآن الكريم

المبحث الأول: أنواع الخفة والثقل

1- مفهوم الإدغام أنواعه ومواضعه

ا-مفهوم الإدغام

1-لغة:

هو إدخال حرف في حرف يقال: أدغمت الحرف وأدّغمه، افتعلته.

والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب، وأدغم الفرس اللجام أدخله في فمه وأدغم اللجام فمه كذلك.

قال ساعدة بن جؤية:

بمقربات بأيديهم أعتقتها** خوض إذا فرعوا أدغمن باللجام[1].

2-اصطلاحا:

الإدغام: هو اللفظ: بحرفين حرفا كالثاني مشددا.

فالإدغام حرف ساكن في آخر متحرك بحيث يصيران حرفا مشددا كالثاني يرتفع اللسان عندهما ارتفاعه واحدة يسمى إدغاما مغيرا[2]، أو هو التلفظ ساكن فمتحرك بلا بالأفضل من مخرج واحد[3].

أما إذا كان أول الحرفين فيه متحركا يسمى الإدغام كبيرا، وهذا لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثير في إسكان المتحرك قبل إدغامه،

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، مادة "دغم"، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص272.

[2]- هشام عبد الباري، محمد رابح، الحقائق المحكمات في المخارج والصفات: دار الإيمان، الأردن، ط1، ص217.

[3] - محمد عصام مصلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 2003، ص59.

والمشهور بنسبة إليه من الأئمة العشرة: هو أبو عمرو بن العلاء، وورد عن جماعة خارج العشرة كالحسن البصري والأعشى وابن محيص وغيرهم[1]، والغرض من الإدغام هو التخفيف والسهولة والإيجاز[2].

وهذا ما أكده المبرد إمام البصرة في عصره في كتابه "المقتضب" بقوله: "إنما نقل الأثقل إلى الأخف"[3]

ب-أنواع الإدغام :

ينقسم الإدغام إلى عدة أنواع هي : الكبير والصغير والمطلق والكامل والناقص والتقديمي الرجعي والواجب والجائز.

فالكبير يكون بإدغام متحرك في متحرك كاللام في قوله تعالى: ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّـهِ ۚ﴾ الأنعام(34)[4].

وسمي كبير لكثرة العمل فيه ولأن الحركة أكثر من السكون، حيث يقول صاحب تحفة الأطفال:

أو حرك الحرفان في كل فعل** كل كبير وأفهمه بالمثل[5].

والصغير يكون بإدغام ساكن في متحرك كالتاء في التاء، في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ البقرة(16)[6] وقد سمى صغيرا لقلة العمل فيه أما المطلق: فهو أن يتحرك

---

[1] – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تم محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، ص143.

[2] – عبد الله بوخلخال، الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 2000، ص143.

[3] – المبرد أبو العباس محمد يزيد المقتضب، ج1، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى شؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، 1978، ص375

[4] – محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ص:59.

[5] – هشام عبد الباري محمد راجح، الدقائق المحكمات في المخارج والصفات، ص:191.

[6] – محمد عصام مفلح القضاة، المرجع السابق، ص:59.

الأول ويسكن الثاني نحو قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ ولقد سمي مطلقا لعدم تقيده بالصغير والكبير[1].

أما الناقص: نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ البقرة (08). ونجد كذلك ما يسمى بالإدغام الواجب والجائز، فالواجب ما اتفق القراء على إدغامه كما في الكلمات التي تقدمت في المثلين والمتقاربين والمتجانسين، أما الجائز فهو ما اختلف فيه القراء بين مظهر ودغم وهو يقع في المتقاربين والمتجانسين، ونجد في الإدغام ما هو تقديمي وما هو رجعي، فالإدغام التقديمي هو الذي يؤثر فيه الحرف الأول في الثاني ويكثر هذا الإدغام في صيغة، فتحل، فنقول: إذ تكر إدّكر. أما الإدغام الرجعي: فهو أن يؤثر الحرف الثاني في الأول الساكن، وهي أكثر شيوعا في اللغة العربية حيث تسير أمثلتها على قياس مطرد مثل قوله تعالى: ﴿ قدْ سّمع الله﴾ (المجادلة، 01) .. فتأثرت هنا الدال بالسين وصارت السين دال بذلك سينا مثلها[2].

ج-مواضع الإدغام:

1-إدغام المتماثلين: وهما الحرفان، اللذان اتّحدا مخرجا وصفة[3]، وذهب النحاة العرب إل لزوم إدغام الحرفين المثلين في الكلمة، الوّاحدة أو الكلمتين، خاصة إذا كان أولهما ساكنا والآخر متحرك ولم يؤد ذلك الإدغام إلى لبس أو غموض ويكون في جميع الحروف إلا في الألفين والهمزتين، فإنّهما لا يدغمان لا في شكلهما ولا في مقاربتهما مخرجا أو صفة[4]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ (النساء، 78) وقوله أيضا: ﴿إذ ذّهبَ﴾ (الأنبياء: 87) ولم يستثن من ذلك إلا إذا كان أول الحرفين حرف مدّ مثل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الرعد: 29) وقوله أيضا: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ (الرعد: 12)[5].

---

[1] – هشام عبد الباري محمد راجح، المرجع السابق، ص:192.

[2] – عبد الله بوخلخال، الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ص16.

[3] – إبراهيم مقلاتي، مذكرة في علم التجويد، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الجزائر، ط2، 2006، ص57.

[4] – عبد الله بوخلخال، الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ص51.

[5] – محمد عصام، مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ص61.

2- إدغام المتقاربين: هما الحرفان اللذان تقاربا مخرجا لا صفة[1] ويكون الإدغام وجوبا في هذا الموضوع في كل من:

اللام الساكنة في الراء: مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114) ولم يستثن من ذلك إلا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ (المطففين: 14) بسبب السكت الواجب على لام "بل" والسكت يمنع الإدغام[2].

النون الساكنة والتنوين: وينقسم إلى قسمين: قسم يسمى إدغاما بغنّة وقسم يسمى إدغاما بغير غنّة، وحكمهما وجوب الإدغام لحفص ومن وافقه وحروفه ستة مجموعة في لفظ: يرملون.

القسم الأول: عندما يقع أحد حروفه بعد النون الساكنة بشرط أن يكون من كلمتين، ـــ'و بعد التنوين ولا يكون إلا بين كلمتين أولاهما اسم وحروفه جمعت في لفظ: ينمو[3]، ويستثن من ذلك قوله تعالى:﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ (القيامة: 27) وهذا بسبب السكت الواجب على نون "من".

إدغام لام التعريف في الحروف الشمسية: وهي الحروف التي في كلمات هذا البيت:

طب ثم صل رحما تفرضن ذا نعم * دع سوء الظن زر شريفا للكرم.

وهذه أمثلة عليها: الضّر، الثواب، الصلاة، الرأس، الثناء، الضلال، الذلة، النور، السماء، الظل، الزاجرات.

---

[1] – إبراهيم مقلاتي، المرجع السابق، ص58.

[2] – محمد عصام، مفلح القضاة، المرجع السابق، ص61.

[3] – محرك البحث غوغل، http :www.tadjwed.com/non and tanween صاحب المقال المكتبة الإسلامية الإيرانية.

القاف الساكنة في الكاف: مثل قوله تعالى: :﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (المرسلات: 20)[1].

3-إدغام المتجانسين: وهما الحرفان اللذان اتحّدا مخرجا واختلفا صفة، وفي هذا الموضع يكون الإدغام وجوبا في كل من:

الذال الساكنة في الظاء: وقد وقعت في موضعين هما: قوله تعالى: :﴿ إِذ ظَّلَمُوا﴾ (النساء: 64)، وقوله أيضا: :﴿ إِذ ظَّلَمتم﴾ (الزخرف: 39)[2].

الدال الساكنة في التاء: مثل قوله تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256).

تاء التأنيث الساكنة في الدال والطاء: مثل قوله تعالى: ﴿ لَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّـهَ رَبَّهُمَا﴾ (الأعراف: 189)[3].

الطاء الساكنة في التاء: مثل قوله تعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ (النمل: 22).

ويكون جائزا في المواضع التالية:

الثاء في الدّال: مثل قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (الأعراف: 176).

الباء في الميم: مثل قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ (هود: 42).

2-الإمالة والتفخيم:

ا-مفهوم الإمالة

1- لغة:الميْلُ فهو لغة الانحراف والعدول إلى الشيء والإقبالُ عليه وكذلك الميَلَان. ومَالَ الشيء يَميلُ مَيْلاً ومَمالاً وأمال الشيء فمال والميل بالتحريك ما كان في الخلقة والبناء، تقول "رجل أميل العاتق في عنقه ميل"[4].

---

[1] – محمد عصام، مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ص61.

[2] – إبراهيم مقلاتي، مذكرة في علم التجويد، ص59.

[3] – جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص147.

[4] – أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، مادة "ميل"، ص 159.

2-اصطلاحا: هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء[1].

ب-أسباب الإمالة:

إن أسباب الإمالة عشرة ترجع إلى أمرين هما: الكسرة والياء.

1- كسرة متقدمة: ولابد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل وأقله حرف واحد مفتوح: نحو حساب، وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة.

2- ياء متقدمة: نحو أياما.

3- كسرة متأخرة: نحو من الناس، في النار.

4- ياء متأخرة: نحو مبايع.

5- كسرة مقدرة في المحل الممال: نحو خاف أصله خوف.

6- ياء مقدمة في المحل الممال: نحو يغشى.

7- كسرة تعرض في بعض الكلمة: نحو طاب. لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث.

8- الإمالة لأجل إمالة.

9- إمالة لأجل الشبه: نحو الحسنى.

10- إمالة لأجل كثرة الاستعمال: نحو الناس[2].

ج-وجوه الإمالة:

إن للإمالة أربعة وجوه وهي ترجع إلى الأسباب السالفة الذكر واصلها اثنان وهما: المناسبة والإشعار.

---

[1] - ابتهال كاصد ياسر الزيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، ص171.

[2] - محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، جزء2، 2009، ص32.

فأما المناسبة فهي قسم واحد: وهو فيما أميل لسبب موجود في اللفظ، وفيما أميل للإمالة غيره فأرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممال، وسبب الإمالة من وجه واحد على نمط واحد.

وأما الإشعار فهو ثلاثة أقسام وهي:

1- الإشعار بالأصل وذلك إذا كانت الألف الممالة منقلبة إلى الياء أو عن واو مكسورة.

2- الإشعار بما يعرض بالكلمة في بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسب ما تقتضيه التصاريف دون الأصل.

3- الإشعار بالشبه المشعر بالأصل، وذلك كإمالة ألف التأنيث والملحق بها والمشبه أيضا.

فائدة الإمالة: هي سهولة اللفظ وذلك أن اللّسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللّسان من الارتفاع[1].

د-التفخيم:

1- لغة: جاء في لسان العرب: فخّم، فخّم الشيء يَفْخُمُ، فِخامة. والتفخيم: العظيم وفَخّم الكلام عظّمه، وهو التسمين والتغليظ[2].

2- اصطلاحا: في المجال الصوتي فإن التفخيم هو: "النطق بالحرف مغلظ الصوت بحيث يمتلئ الفم بصداه[3]. أو التفخيم "هو اعتدال الصوت وتقريب بعضه حتى يربو الحرف ويغلظ وبعبارة أخرى هو ربو الحرف وتتمين أو سمن يدخل جسم الحرف،

[1] - محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص32.

[2] - ابن منظور ، لسان العرب، ج11، ص139.

[3] - منى درويش الطنبولي، الميسر في علم التجويد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2002، ص48.

أي صوته، فيمتلئ الفم بصداه[1]. التفخيم صفة تصحب نطق بعض الأصوات اللغوية حيث نجد اللسان يلعب فيه دورا مؤثرا. "والتفخيم ناشئ عن وضع عضوي ينطبق فيه اللسان على الحنك الأعلى آخذا شكلا مقعرا بحيث تكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصامت المرفق (مثل: التاء)، وتكون النقطة الخلفية هي مصدر التفخيم في حالة الإطباق (مثل: الطاء، الظاء، الصاد، الضاد) وهي الأصوات المطبقة في العربية"[2]. وينبغي الإشارة إلى التفريق بين التفخيم كظاهرة صوتية والتفخيم باعتباره ضخامة في الحديث عند بعض الأشخاص.

والتفخيم هو الفتح والفتح على ضربين فتح شديد، وفتح متوسط والفتح الشديد هو نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خرسان ومن قرب منهم وهو في القراءة مكروه ومعيب، والفتح المتوسط وهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسط، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كابن كثير وعاصم وغيرهما[3]. والتفخيم هو عكس الإمالة، وهو أن ننحو بالفتحة الضمة وبالألف نحو الواو[4].

3- الإظهار والإخفاء:

ا- مفهوم الإظهار:

1- لغة: البيان.

2- اصطلاحا: هو إخراج الحرف من مخرجه من غير غنّة في الحرف المظهر، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه وهي ستة: الهمزة،

---

[1] - عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص67.

[2] - محمود عكاشة، مبادئ تعلم اللغة العربية، قواعد النطق والكتابة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2008، ص104.

[3] - عبد الفتاح إسماعيل شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2008م، 1429ه، ص41.

[4] - منى درويش الطنبولي، الميسر في علم التجويد، ص48.

والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. وعلة الإظهار عند هذه الحروف هي بعد مخرج النون الساكنة والتنوين عن مخرج هذه الحروف، فلم يحسن الإدغام لوجود مسوغ له، ولا الإخفاء لأنه قريب من الإدغام، ولا القلب لأنه وسيلة إلى الإخفاء ولهذا تعين الإظهار الذي هو الأصل[1].

ب- مفهوم الإخفاء

1- لغة: الستر.

2- اصطلاحا: هو النطق بالنون الساكنة أو التنوين بحالة بين الإظهار والإدغام عارية من التشديد مع بقاء الغنّة بمقدار حركتين، وحروفه خمسة عشر حرفا جمعها صاحب تحفة الأطفال في أوائل كلمات هذا البيت:

صف ذا ثناكم جاد شخص قد سما * دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

وعلة الإخفاء هي أن النون الساكنة والتنوين لم يبعدا عن حروف الإخفاء مثل حروف الإظهار، ولم يقرب منها مثل حروف الإدغام، فلما عدم البعد الموجب للإظهار، وعدم القرب الموجب للإدغام، أعطيا حكما وسطا بين الإدغام والإظهار هو الإخفاء[2].

4-التشديد والتخفيف:

التشديد والتخفيف ظاهرتان شائعتان في اللهجات العربية شيوعا بارزا، ونعني بتشديد الكلمة التي زيد على حروفها الأصلية، سواء أكانت هذه الزيادة بتضعيف عين الكلمة أو بتكرار أصوات مماثلة، فإذا ما جردت الكلمة من أي حرف زائد فهي مخففة، ليس هذا فحسب، بل إذا تغير شكل الكلمة دون حذف الزائد فهو شكل من أشكال التخفيف، ومن ثمة فإن مظاهر التخفيف أربعة، يمكن ترتيبها على

[1] – خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص126.

[2] – خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص127.

النحو التالي: التخفيف بالإبدال، تخفيف بالتجرد، تخفيف بالإدغام، تخفيف بالحذف ولم يكن ثمة نزاع أن التشديد سمة من سمات القبائل البدوية شرق الجزيرة ووسطها، وتمركزها قبيلة تميم، وذلك لما في طبعها من جفاء وغلظة، وبهذا يتميز نطقهم سلسلة من الأصوات القوية السريعة التي تطرق الأذان، كأنما هي مفرقعات متعددة وتأكيدا لذلك أن وفدا من تميم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلنون إسلامهم فأسرعوا إليه ينادون بصوت أجشّ، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ سورة الحجرات الآية 4، ثم دعاهم القرآن إلى خفض الصوت في قوله: ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ سورة لقمان الآية19[1].

ويقدم الدكتور الجندي تفسيرا مقبولا لميل قبائل شرق الجزيرة وفي مقدمتها تميم إلى الشدة في الكلام نوجزه في أن البدو يعيشون في الصحاري الواسعة المترامية إلى حد فناء الصوت فلا يكاد يسمع، فحرص البدوي على توضيح أصواته حتى يسمع ولجأ إلى تحقيق ذلك بطرق شتى منها الجهر والتفخيم والشدة[2]، والهمز هو سمة من سمات الشدة التي اتسمت بها قبائل شرق الجزيرة تأييدا لهذا الرأي ويرى الجندي أن التشديد مظهر من مظاهر التطور اللغوي، إذ يمثل عملية ترميم في جسم اللغة العربية[3].

المبحث الثاني: نماذج من الخفة والثقل في ألفاظ القران

1-الإظهار والإخفاء: من أمثلة الإظهار والإخفاء في القرآن الكريم نذكر ما يلي:

أ- قوله تعالى: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" ففي قول: "مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا " إظهار التنوين بغير غنة، أي أن ظروف التلاوة لا تستدعي مدة زمنية بين التنوين والخاء، وهذا مناسب للمقام، وموضع للمعنى،

[1] – إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة، ط2، 1952م، 89.

[2] – أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1398ه-1978م، ص657.

[3] – المرجع نفسه، ص 657.

المراد، وهو: التصاق مثقال الذّرة بالخير، وعدم انفصاله عنه البتّة، وربما حمل هذا الإظهار إلى الناس رسالة خفية مؤدّاها المسارعة إلى عمل الخير والإكثار منه[1].

أما قوله: " مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا" ففيه إخفاء للتنوين، وهذا يستدعي مدّة زمنية بمقدار حركتين بين التنوين والشين، أي بين مثقال الذّرة والشر، مما يوحي بالمعنى المقصود وهو إتاحة الفرصة للبشر بالتوبة والإنابة إلى الله عزوجل[2].

ب- قوله تعالى: "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ"، فالملاحظ هنا أن في قوله: " هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ"ثلاث غنّات، الحكم فيها جميعا الإخفاء، وهذه الغنات يستدعي أداؤها مدّة زمنية، وهو أمر يتمشى مع تذوق هذا الماء السائغ شرابه، أما الملح الأجاج فجاء التعبير عنه بإظهار التنوين "وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ" دون غنّة، ليدل على سرعة لفظ هذا الملح[3].

ج- قوله تعالى: " الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ" فالغنّة في قوله: "من جوع" للدلالة على وجود مدّة للإطعام من الجوع، أما قوله "من خوف" فلا توجد غنّة، وهذا دليل على فورية الأمن من الخوف،لأن الخوف يستلزم سرعة الخوف.

د- قوله تعالى: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" فلا يوجد انفصال أو مسافة أو غنّة بين "قريب" و "أجيب" وهذا يدل على سرعة الإجابة[4].

2-الإدغام وفك الإدغام:

ثمة ألفاظ في القرآن الكريم وردت بالإدغام حينا وبفك الإدغام حينا آخر فمثلا ورد لفظ "يشاقّ" مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: " وَمَن يُشَاقِّ اللَّـهَ فَإِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" وورد لفظ "يشاقق" مرتين:

---

[1] - خالد قايم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص127.

[2] - المرجع نفسه، ص128.

[3] - خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص128.

[4] - المرجع نفسه، ص129.

الأولى في قوله: "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ".

والثانية في قوله: "مَن يُشَاقِقِ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّـــهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ".

للسائل أن يسأل عن موجب الإدغام في آية (الحشر) وعن موجب فك الإدغام في آيتي (النساء و(الأنفال).

ويتراءى لي أن الإدغام في آية الحشر، يوحي بالخفاء والمساترة، وأنّ فك الإدغام في آيتي (النساء) و(الأنفال)، يوحي بالظهور والمجاهرة في فعل المشاققة وبناء على هذا يقال إن سياق الحال في (الحشر) ناسبه الإدغام، وسياق الحال في كل من (النساء) أو (الأنفال)، ناسبه فك الإدغام، وسيأتي بيان ذلك لاحقا[1].

وقد تباينت آراء العلماء والمفسرين في تأويلهم موجب الإدغام في آية (الحشر) وموجب فك الإدغام في آيتي (النساء) و(الأنفال)، فالخطيب الإسكافي (ت 420ه) عزا الإدغام في آيتي الحشر إلى قوة الحركة في القاف في قوله "يشاق" من حيث أنه لا يصح أن تلاقي الاسم الذي بعدها إلاّ ساكنا لا يقوم مقامه متحرك في حال، أمّا الموضعان الآخران فليسا على هذا الوصف، إذا القاف في قوله: "ومن يشاقق الله ورسوله" قد تتلاقى ما يتعلق بها متحركا وهو "رسوله" لأن التقدير: (ومن يشاقق رسول الله)، فلم تخلص القاف في ما يتعلق بها للحركة كما خلصت له في الأول، وأما قوله: "ومن يشاقق الرسول" والكلام للخطيب، فليس الساكن من "الرسول" الذي تلاقه القاف كالساكن من لفظة "الله" في قوله: "ومن يشاق الله"، لأنه قد يحذف فيصبح لملاقاة القاف متحركا منه نحو: ومن يشاقق رسول الله، والحق أن هذا الرأي ظريف، ولكن يؤخذ عليه أنه ساوى بين الإدغام في قوله: "ومن يشاقّ الله" في الحشر، والفك في قوله "ومن يشاقق الله ورسوله" في الأنفال، بدعوى أن القاف في الثانية قد تتلاقى ما يتعلق بها متحركا، إذا التقدير: ومن يشاقق رسول الله،

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، 170.

على حيين أن القاف في الأولى لا يصح أن تلاقي الاسم الذي بعدها إلا ساكن لا يقوم مقامه متحرك في حال، والرد عليه من وجهين[1]:

الأول: على الرغم من أن مشاققة الرسول –صلى الله عليه وسلم– في حقيقتها مشاققة لله تعالى، إلا أن الآية الثانية جاءت في مقام العطف، وقوله إن التقدير: ومن يشاقق رسول الله، فيه تغيير نسق الكلام وعدول عن مقتضى الظاهر، لأن الآية صريحة في عطف "رسوله" في مقام مشاققة الكفار لهما.

والثاني: قوله إن القاف في قوله: "ومن يشاق الله" لا يصح أن تلاقي الاسم الذي بعدها وهو "الله" إلا ساكنا لا يقوم مقامه متحرك في حال قول مرجوح، لأنه يمكن لنا في حال أن نقدر اسما يقوم مقامه متحرك، كأن نقول: (ومن يشاقق الربّ) أو: (ومن يشاقق ربّ العالمين) وحينئذ يكون الساكن من الربّ الذي تلاقيه القاف كالساكن من لفظة (الرسول) يف قوله تعالى في سورة النساء: "ومن يشاقق الرّسول).

أما الغرناطي (ت 708ه) صاحب "ملاك التأويل" فذهب إلى أن الإدغام في "يشاق الله" جيء به لمناسبة الإدغام قبله في الماضي من قوله: "ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله"، وأشار إلى العطف "رسوله" على "الله" بالواو الجامعة، وأن هذا العطف ناسب الفك، فاستدعها الموضوع داعيان: أحدهما ما قبله من الإدغام، والثاني ما بعده من العطف المشبه للفك، فروعي البعدي لأنه أقوى في الرّعي[2].

والرد عليه أيضا من وجهين:

الأول: قوله إن الإدغام في "يشاق الله" في الحشر جيء به لمناسبة الإدغام قبله في الماضي فيه نظر، لأن آية (الأنفال) التي وردت بفك الإدغام: "ومن يشاقق الله ورسوله" سبقت هي الأخرى بالماضي المدعم (شاقوا)، فكيف أدغم في آية (الحشر) ولم يدغم في آية (الأنفال) مع أنّ كلا من الموضعين مسبوق بقوله تعالى: "ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله".

---

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص170–171.

[2] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص171–172.

والثاني: قوله إن عطف "رسوله" على "الله" يناسب الفك في الفعل "يشاقق"، تنفيه آية (النساء)، وهي قوله: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين..." إذ وردت بالفك، مع أن المشاققة حسب مقتضى الظاهر للرسول، وليس ثمة عطف البتّة[1].

ويبدو لي أن ما ذهب إليه البقاعي (ت 885ه) هو أظهر الآراء في بيان موجب الإدغام وفك الإدغام في الآيات مدار الحديث، وما ذاك إلا أنّه استطاع أن يلتمس الدلالات الصوتية الدقيقة للإدغام وفك الإدغام في هذا الموضع وغيره، وربط ذلك بسياق الحال، وفي ما يتأتي خلاصة رأيه في الآيات الثلاث[2].

أولا: ترك الإدغام على حاله في آية (الحشر) لأن اليهود ما أظهروا معاداة وإنما كان ما فعلوا مكرا ومساترة، ولم يعد ذكر الرسول –صلى الله عليه وسلم– تفخيما له بإفهام انم شاققته مشاققة الله. وإشارة إلى أنهم بالغوا في إخفاء مشاققتهم، فلم يظهر عليها غير الله، ففلم يحصل منهم في ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول –صلى الله عليه وسلم– فإنه لم يمكر بهم، وإنما هم حين أعلمه الله بمكرهم، بخلاف ما هو في الأنفال[3].

ثانيا: إن المقام في (الأنفال) اقتضى ذكر الرسول –صلى الله عليه وسلم– كأنهم مكروا به كما قال تعالى: "وإذ يمكر بك الذين كفروا" وهو – صلى الله عليه وسلم– أخفى أمر هجرته وأعمل الحيلة في الخلاص من مكرهم على حسب ما أمره الله به فحصلت المفاعلة[4] وأظهرالادغام في المضارع لأن القصة للعرب، وأمرهم في عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا ومجاهرة واختاروا أن يكونوا بمخالفة الأوامر والنواهي في شتى غير الشق الذي حزب الهدى في المكر منهم وخداع، وشاقوا

---

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص172.

[2] – المرجع نفسه، ص173.

[3] – برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ج7، 515.

[4] – المرجع نفسه، ص515.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بإشهار السيف جهرا، فناسب ذلك فك الإدغام[1].

ثالثا: أظهر القاف في آية (النساء) أي فك الإدغام إشارة إلى تعليقه بالمجاهرة ولأن السياق لأهل الأوثان وهم مجاهرون، وقد جاهد سارق الدرعين الذي كان سببا لنزول الآية في آخر قصته[2].

وهكذا يتبدى لنا موجب الإدغام في آية (الحشر)، وموجب الفك في آيتي (النساء) و(الأنفال)، يتضح لنا الدلالات الصوتية للإدغام وفكّ الإدغام في الآيات الثلاث في دلالة الإدغام على الخفاء والمساترة، ودلالة الفك على الظهور والمجاهرة، وهو أمر يؤكده الذوق اللغوي، بل هو يدرك بالذّوق اللغوي، فإن من حباه الله عز وجل ذوقا لغويا سليما استطاع أن يتبين الدّلالة الصوتية الإدغام في (يشاقق) والدلالة الصوتية لفك الإدغام في "يشاقق" وبالطبع في غيرها من المتقابلات الصوتية وذلك من حيث إنّ الإدغام في حقيقته اخفاء صوت عن طريق دمجه في صوت آخر من جنسه، وهذا يتناسب مع مقام الخفاء والمساترة، ثم من حيث إنّ فكّ الإدغام في حقيقته إظهار صوت بعد أن كان مدغما في صوت آخر من جنسه وهذا بدوره يتناسب مع مقا الظهور والمجاهرة.

فإذا ربطنا الدلالات الصوتية بسياقها الاجتماعي استطعنا أن نقف في النص القرآني على أسرار مدهشة ولطائف عجيبة.

وفي قوله: "ومن يشاق الله" لطيفة يحققها المد الإلزام المثقل، ومقداره ست حركات، فهذا المد يشعر بطول عهد المنافقين والمهادنين في المشاقة، فقد كانوا مجدًين.ذلك مستمرين عليه انه والحالة هذه يساعد على تباين أهمية الدلالة من حيث تصويرها

[1] – برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج3، ص194.

[2] – المرجع نفسه، ج2، 317.

بالصوت، فهو يعطي للوقوف على القاف قوة تفيد في تجسيم موقف المشاقة والله أعلم[1].

3- **التشديد:** نلمس هذا المظهر في إيثار صيغة "فعّل" بتضعيف العين، ومما جاء في هذه الصورة في قراءة حفص.

نجد في سورة البقرة: " بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّـــهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّـــهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (البقرة 90).

وبابه إذا كان فعلا مضارعا أوله تاء أولياء أو نون مضمونة حيث قرئ بالتشديد من "نزّل" بتضعيف الزاي، وبتخفيف من "أنزا" وبالتشديد قراءة حفص[2]، وذكر اللغويون أن دلالة التشديد التكرار والمداومة شيئا بعد شيء.

وكذلك من مظاهر التشديد إيثار صيغتي (تفعّل وتفاعل) ومما نلمس في هذا المظهر: ف سورة الأنعام، وفي قوله تعالى: " فَمَن يُرِدِ اللَّـــهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّـــهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" (الأنعام 125). حيث قرئ بتشديد الصاد والعين في لفظة "يصّعّد" وبإسكان الصاد وفتح العين[3].

ولفظة "ادّارك" في سورة النمل بقوله تعالى: " بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ" (النمل 66). قرئ بهمزة وصل ودال مشددة مفتوحة بعدها ألف وبهمزة قطع ودال ساكنة، والأولى قراءة حفص[4]، وأصل (ادّارك)، تم تماثل الصوتان الأول والثاني لتقاربهما مخرجا وصفة، فكلاهما أسناني انفجاري، بيد أن التاء مهموس والدال مجهور[5].

---

[1] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص174.

[2] – احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي منيف، دار المعارف، مصر، ط1، ص164.

[3] – أحمد بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص268.

[4] – المرجع نفسه، ص485.

[5] – إبراهيم خليل، مقدمة في علم أصوات اللغة العربية، دار الأمواج للنشر، عمان، الأردن، ص150-151.

والمجهور أقوى، حيث أثر صوت الدال القوي في التاء المهموس، فانقلبت التاء دالا، ثم حدث إدغام بينهما فسكن الأول، فاجتلبت همزة وصل من أجل النطق بساكن.

ونجد في لفظة "يَسمعون" في سورة الصافات حيث يقول تعالى: " لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ" (الصافات 8). بتشديد السين والميم وبتخفيفهما، والتشديد قراءة حفص[1] فتماثلت التاء والسين للتقارب مخرجا وصفة إذ كلاهما صوت أسناني مهموس، غير أن التاء صوت إنفجاري والسين صوت احتكاكي[2]

4- التخفيف: سبق القول بأن ثمة مظاهر أربعة كل مظهر يمثل مرحلة ما من مظاهر التطور اللغوي نحو التخفيف ويمكن ترتيبها على هذا النحو:

أ- تخفيف بالإبدال: ويتمثل في العدول عن صيغة "فعّل" بتشديد العين إلى صيغة "أفعل" ومنها: في لفظة لتكملوا في سورة البقرة: يقول الله تعالى: " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّـهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (البقرة 185). حيث قرأ بالتخفيف من "أكمل" وبالتشديد من "كمّل" بتشديد الميم، والأولى قراءة حفص[3] وذكر المحللون أن التشديد والتخفيف لغتان[4] واختار مكي التخفيف لخفته[5].

---

[1] – أحمد بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص547.

[2] – إبراهيم خليل، مقدمة في علم أصوات اللغة العربية، ص134-135.

[3] – أحمد بن مجاهد، السبعة في القراءات، ج6، ص11.

[4] – أبو عبد الله بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العالي سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1339-1979، ج1، ص93.

[5] – مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي، الكشف في وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، 1404ه، 1984م، مج1، ص 283.

ب- التخفيف بالتجرد: ومن الصيغ التي جاءت مزيدة بالتشديد في بعض القراءات وجاءت مجردة من الزيادة تخفيف في قراءة حفص ومن تلك الكلمات نجد لفظة "يطهرن" في سورة البقرة حيث يقول تعالى:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّـهُ ۚ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (البقرة 222). حيث قرأ بإسكان الطاء وضم الهاء وبتشديدهما، والأولى قراءة حفص، والتخفيف يحمل دلالة تخالف دلالة التشديد، لأن الطهر يعني انقطاع الدم، في حين أن التطهر لا يتم إلا بالاغتسال والدليل قول العرب طهرت المرأة من الحيض، فهي طاهر[1]، واختار مكي التخفيف لأن فيه بيان الشرطين الذين بهما تكون الحائض متطهرة: انقطاع الدم والتطهر بالماء[2].

ولفظة "تلقف" في سورة الأعراف يقول تعالى: " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" (الأعراف 117). قرأ بإسكان اللام وقاف خفيفة وبتشديد القاف وفتح اللام والأولى قراءة حفص، والتخفيف من الثلاثي (لقف)، وإنما التشديد من (تلقف)[3]، ولا اختلاف دلاليا بينهما. ونجد أيضا في لفظة "يفصل" في سورة الممتحنة في قوله تعالى: " لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (الممتحنة 3). قرأ بإسكان الفاء وتخفيف الصاد، وبفتح الفاء وتشديد الصاد والأولى قراءة حفص وليس بينهما اختلاف دلالي سوى أن التشديد للتكرار.

---

[1] – أبو عبد الله ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص96.

[2] – مكي بن أبي طالب الأندلسي، الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص293.

[3] – أبو عبد الله ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص244.

ج- التخفيف بالإدغام: الإدغام وجه من وجوه التخفيف[1]، وهو سمة من سمات لغة قبائل شرق الجزيرة وبخاصة تميم حين ذكر العلماء أن الإدغام لغة تميم، والبيان الإظهار أو فك الإدغام لغة الحجاز[2].

وإن كان الإدغام ظاهرة صوتية فإن له أثرا صرفيا حينما تكون عين الفعل ولامهمن موضع واحد واللام ساكنة، وهذه الصورة نلمسها في المضارع المجزوم والأمر منه، كما في الفعل "ردّ" ففي المضارع المجزوم والأمر منه نقول (لم يردّ، ردّ) و(لم يردد، اردد)، ولعل هذا ما قصده العلماء حينما ذكروا أن الإدغام لغة تميم والإظهار لغة الحجاز.

د- التخفيف بالحذف: كذلك من سبل التخفيف التي لجأت إليها القبائل العربية التخفيف بالحذف، أي حذف أحد الأصوات المماثلة، ويبرز هذا المظهر في قراءة حفص بصورة واضحة في صيغتين (تفعّل وتفاعل) حال كون الفعل مضارعا مبدوءا بتاء الخطاب وهذا يعني أنه يبدأ بصورتين متماثلتين تاء المضارع وتاء الفعل ومنها:

لفظة "تظاهرون" في سورة البقرة يقول تعالى: " ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" (البقرة 85). فرأت بتخفيف الحرف الثاني وبتشديده والتخفيف قراءة حفص عن عاصم[3]، والأصل فيها أن تبدأ بتاءين، وكل القراء قرءوا بالتخفيف، غير أن بعضهم خفف بالإدغام والآخرون كانوا أكثر تخفيفا، إذا كان تخفيفهم بالحذف أي بحذف أحد التاءين[4]، والحذف يرجع على حرص اللغة على مبدأ درء التوالي المكروه[5] وهذا

---

[1] – محمد بن محمد الدمشقي الجزري أبو محمد، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج1، ص275.

[2] – عمرو بن عثمان بن فنبر الملقب بسيبويه، الكتاب–المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408ه–1988م، ج4، ص473.

[3] – أبو عبد الله ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص163 و388 و466 و672.

[4] – يقول الرازي: "الحروف المقاربة إذا اجتمعت خفضت تارة بالحذف وتارة بالإدغام.

[5] – أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

ما يؤكده الدرس الصوتي الحديث، إذ يؤكد أن حذف التاء يرجع إلى أن لغتنا العربية تكره توالي مقاطع مماثلة، وهي من النوع القصير، ومن ثم لجأت على التخلص من هذا التولي المقطعي، فكان سبيلها في ذلك أحد أمرين: الإدغام أو الحذف وقد استعملت لغة القرآن، قراءة حفص كلا الأمرين، وكلاهما شاع في اللغة الحجازية بصرف النظر عما قاله العلماء: هذا لغة كذا وذلك لغة كذا.

هذا وقد اختلف المتقدمون في التاء المحذوفة فبينما ذهب الكوفيون إلى أنها التاء الأولى، لأنها زائدة والزائد أولى أن يحذف، وذهب البصريون إلى أنها الثانية، لأن الأولى دلالتها المضارعة[1]، فلو أن التاء الأولى كانت ياء للغيب لما جاز حذفها وجاز حذف الثانية إذ جاء بعده صوت مماثل مخرجا أو صفة كما في الفعل (يشقق) في سورة البقرة يقول تعالي: " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ ۗ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (البقرة 74). حيث أنه لا خلاف على قراءته بتشديد الشين، واصله يتشقق، ثم حدث تماثل بين صوتين التاء والشين، فقلبت التاء شينا وأدغمت فيها.

[1] – سيبويه، الكتاب، ج4، ص476.

الخاتمـــة

الخاتمة:

بعد هذا الجهد المتواضع في بحثنا وبعد محاولة الإلمام بالموضوع من الناحية النظرية والتطبيقية، وقد تناولنا جزءا يسيرا من أوجه الإعجاز القرآني ألا وهي بلاغة الخفة والثقل في ألفاظ القرآن الكريم، إذ حصرنا بحثنا على أربع نماذج من الخفة والثقل وهي الإدغام وفك الإدغام، والتشديد والتخفيف، الإمالة والتفخيم والإظهار والإخفاء.

وأهم النقاط التي استخلصناها:

1- جواز ورود اللفظ القرآني الواحد على وجهين: قد يرد اللفظ في موضع الخفة وقد يرد في موضع الثقل.

2- اللفظة القرآنية محكمة في معناها ومبناها ومقصدها ودقيقة في استعمالها.

وفي الأخير نسأل الله أن يوفق كل ساع إلى كشف أسرار القرآن الكريم، وأن يثبط كل ساع إلى خراب القرآن أو ردمه فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1- إبتهال كاصد ياسر الزيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005.

2- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مطلعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1952.

3- إبراهيم خليل، مقدمة في علم أصوات اللغة العربية، دار الأمواج للنشر، عمان، الأردن.

4- إبراهيم مقلاتي، مذكرة في علم التجويد، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الجزائر، ط2، 2006.

5- أبو الحسن أحمد بن فارس ابن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد كتاب العرب، 2002.

6- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

7- أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، الأغاني تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2.

8- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير محمد أحمد حسب الله، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

9- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تحقيق أبو فهد محمود شاعر، دار المدني بجدة، السعودية، ط3، 1413ه، 1992.

10- أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، تحقيق داوود غطاشة، دار الفكر للنشر والتوزع، لبنان، ط1، 2007.

11- أبو العباس محمد بن يزيد المقتضب، المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د ط، 1978.

12- أبو عبد الله ابن خالوييه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العالي سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1399ه، 1979.

13- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2.

14- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2.

15- أحمد موسى بن العباس بن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط1.

16- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1398-1978.

17- أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، مصر، ط1، 2007.

18- بثينة أيوب، قضايا بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2005.

19- بن عيسى باطاهر، تيسير البلاغة العربية في كتب التراث، د ب، د ط، د ت.

20- برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003.

21- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

22- حسين خميس الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار االشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

23- حمدي الشيخ، في تيسير البلاغة البديع-البيان-المعاني، د ط، كلية الأدب، جامعة بنها.

24- خالد بن قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2006.

25- سهام مادن، اللهجات العربية القديمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432-2001.

26- شوقي ضيف، البلاغة تطور تاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط2.

27- عاطف غضل، مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي، الأردن، ط1، 2006.

28- عبد الحليم محمد عبد الحليم، اللهجات في اللسان العربي، دار الطباعة المحمدية، دري الأــراك بالأزهر، ط2، 1421ه-2000.

29- عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2007.

30- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1429ه-2008.

31- عبد القادر حسين، فن البلاغة، د ط، القاهرة، مصر، د ت، دار الغريب.

32- عبد الله بوخلخال، الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2000.

33- عبد الله عبد الناصر خيري، لهجات العرب في القرآن الكريم، دراسة استقرائية تحليلية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428ه-2007.

34- عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسبويه، الكتابــ تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408ه-1988.

35- علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق خاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 1424ه-2003.

36- محرك البحث غوغل http//www.tadjwed.com/noon and tanween صاحب المقال المكتبة الإسلامية الإيرانية.

37- محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة علي بن محمد الضباع، جار الكتب العلمية، 2009.

38- محمد ربيع، علوم البلاغة العربية، دار الفكر عمان، الأردن، ط1، 1428ه-2007.

39- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1.

40- محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 2003.

41- محمد عكاشة، مبادئ تعلم اللغة العربية -قواعد النطق والكتابة- دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

42- مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط8، 1425ه-2005.

43- مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

44- مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، 1404ه1984.

45- منى درويش الطنبولي، الميسر في علم التجويد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2002.

46- هشام عبد الباري محمد رابح، الحقائق المحكمات في المخارج والصفات، دار الإيمان، الأردن، ط1.

47- يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، مصر، 1914.

48- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار الميسرة للنشر والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2007.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ-ب

مدخل في بلاغة الخفة والثقل في ألفاظ القرآن الكريم..... 03

الفصل الأول: نشأة البلاغة ودلالاتها

المبحث الأول: نشأة البلاغة وعلاقتها بالقرآن..... 14

1- نشأة البلاغة..... 14

2- علاقة البلاغة بالقرآن الكريم 17

المبحث الثاني :المعاني اللغوية والاصطلاحية للأصل والفرع..... 18

المبحث الثالث:الدلالة بين التشديد والتخفيف..... 23

1- الدلالات العامة..... 23

2- الدلالات الخاصة..... 23

الفصل الثاني: أنماط الخفة والثقل في ألفاظ القرآن

المبحث الأول :أنواع الخفة والثقل 26

1- مفهوم الإدغام أنواعه ومواضعه..... 26

ا-مفهوم الإدغام..... 26

ب-أنواع الإدغام..... 27

ج-مواضع الإدغام 28

المبحث الثانيِ :نماذج من الخفة والثقل في ألفاظ القران 35

1- الإظهار والإخفاء..... 35

2- الإدغام وفك الإدغام..... 36

3- التشديد 41

4- لتخفيف 42

الخاتمة 47

قائمة المصادر والمراجع 49

فهرس الموضوعات 55